

أهمية التوحيد

ومكانته في الإسلام وفي الدعوة إلى الله

أهمية التوحيد

ومكاته في الإسلام وفي الدعوة إلى الله

لمعالي الشيخ الدكتور

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

أعدده للنشر

فهد بن إبراهيم الضعيم

ح دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع الرياض، ١٤٣٢ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان ، صالح بن فوزان

أهمية التوحيد ومكانته في الإسلام وفي الدعوة إلى الله . / صالح بن فوزان

الفوزان؛ فهد بن إبراهيم الفعيم - الرياض، ١٤٣٢ هـ

٦٤ ص ٢٤ سم

ردمك: ٤-٠١-٩٧-٨٠٣-٦٧٨

١. التوحيد ١. الفعيم ، فهد بن إبراهيم (محقق) ب. العنوان

١٤٣٢/٧٠٣٢

ديوي ٢٤٠

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٧٠٣٢ هـ

ردمك: ٤-٠١-٩٧-٨٠٣-٦٧٨

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

المملكة العربية السعودية ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٩١٤٧٧٦-٤٩٦٨٩٩٤ فاكس: ٤٤٥٣٢٠٣

E-mail: eshbelia@hotmail.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أصل هذا الكتاب

محاضرة بعنوان:

أهمية التوحيد

ومكانته في الإسلام وفي الدعوة إلى الله

ألقاها معالي الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان في
بعض الدورات العلمية في الطائف.

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم أما بعد:
التوحيد هو أول دعوة الرسل وفيه كانت الخصومة بين الأنبياء
وخصومهم، وهو الذي يجمع الناس وتجتمع عليه القلوب، والتاريخ خير
شاهد على زيف تلك الشعارات التي حاول أربابها جمع الناس تحت لوائها،
ومنذ القدم والأعداء يكيّدون المكائد للتوحيد وأهله، ويدعون إلى إقصائه
وأهله وإثارة الشبه حوله، والعلماء بينوا التوحيد وعقدوا له الدروس
وشرحوا فيها المتون، وأجابوا عن شبهات الأعداء وفندوها؛ ومن هؤلاء
العلماء معالي شيخنا الدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان، فقد كان لفضيلته
محاضرة بعنوان: (أهمية التوحيد ومكانته في الإسلام وفي الدعوة إلى الله)؛
فقدت بتفريغها وإعدادها للنشر، وعدّل حفظه الله عليها مشكوراً مأجوراً.
وفي الختام أسأل الله أن ينفع بها وأن يجزي شيخنا خير الجزاء.

فهد بن إبراهيم الفعيم

الرياض ١١٣٦٥ ص. ب. ٣٩٠٤٨٤

Email:msjd@gawab.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إذن طباعة

الحمد لله وبعد:

فقد أذنت للشيخ فهد بن إبراهيم الفعيم بطبع محاضرتي بعنوان:
(أهمية التوحيد ومكانته في الإسلام) رجاء الانتفاع بها إن شاء الله تعالى.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء


في ١٦ / ٠٦ / ١٤٣٢ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين! فقد أذنت للتبليغ في مدينة براصم الفعيم
بجميع محاضرات بعنوان: (أهمية التوحيد وركائفه
في الإسلام) رجاء الانتفاع بها - إن شاء الله تعالى
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه

صالح بن فوزان الفوزان


في ١٦/٦/١٤٢٩هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن
والاه، وبعد:

فإن هذا الموضوع الذي نتحدث عنه ليس هو من المواضيع التي تقل
فائدتها، أو المواضيع التي تختص ببعض الناس دون بعض، وإنما هو
موضوع تجب معرفته على كل مسلم، ألا وهو موضوع: أهمية التوحيد
ومكانته في الإسلام، ذلك الموضوع الذي يجب علينا أن نتحدث عنه
دائمًا، وأن نوضحه، وأن نتعلمه ونعرفه؛ لأنه مناط السعادة في الدنيا
والآخرة.

والتوحيد معناه: إفراد الله - سبحانه وتعالى - بالعبادة وترك عبادة ما سواه
والبراءة من الشرك والمشركين.

القرآن منبر التوحيد

وهذا الموضوع تكرر ذكره في كتاب الله عز وجل، فلا تكاد تخلو سورة من سور القرآن العظيم إلا وفيها ذكر للتوحيد، وأمرٌ به، وحثٌ عليه، ونهي عن الشرك وتحذير منه، وهناك سور كثيرة وخصوصًا المكية تكون من أولها إلى آخرها في موضوع التوحيد والنهي عن الشرك، بل إن الإمام ابن القيم - رحمه الله - في كتابه «مدارج السالكين» يقول: إن القرآن كله في التوحيد^(١)؛ لأنه إما خبر عن الله سبحانه وتعالى، وأسمائه وصفاته، وأمر بعبادته وحده لا شريك له، ونهي عن الشرك، وإما بيان لجزاء الموحدين الذين أخلصوا العبادة لله - عز وجل - في الدنيا والآخرة، وبيان لجزاء المشركين الذين أعرضوا عن التوحيد، وما حل بهم من العقوبات في الدنيا، وما ينتظرهم في الآخرة، وإما إخبار عن الموحدين من الرسل وأتباعهم، أو إخبار عن المكذبين من المشركين وأتباعهم من الأمم السابقة، كقوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم شعيب، وقوم إبراهيم، وأصحاب مدين، والمؤتفكات، وغيرهم من الأمم، لما أعرضوا عن التوحيد وعصوا الرسل وماذا حل بهم، وإما بيان الحلال والحرام،

(١) مدارج السالكين (٣ / ٤٥٠).

وهذا من حقوق التوحيد، كون الإنسان يتناول الحلال ويكتفي به، ويعرف الحرام، ويتركه، ويبتعد عنه وعن كسبه.

فالقرآن كله توحيد؛ لأنه إما لبيان التوحيد وبيان مناقضاته ومنتقضاته، وإما إخبار عن أهل التوحيد وما أكرمهم الله به، أو إخبار عن المشركين وما انتقم الله تعالى منهم به في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة، وإما أحكام فيها بيان حلال وحرام، وهذا من حقوق التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه، ومفسداته، ومبطلاته.

التوحيد أساس الدين

إن بعض الناس اليوم من جهلة الدعوة، وأقولها بأسف؛ لأنه لا يصلح للدعوة من كان جاهلاً، ولا يجوز أن يدخل في مجال الدعوة إلا من كان عالمًا مسلحًا بالعلم، ولكن يوجد من جهلة الدعوة من يهونون من شأن التوحيد، ويرون أن الناس في العالم الإسلامي ليسوا بحاجة إلى أن تُلقى فيهم محاضرات في التوحيد، أو يقرر فيها التوحيد ضمن مقررات المدارس، أو تقرأ كتبه في المساجد!

وهذا من الجهل العظيم؛ لأن المسلم أحوج من غيره لمعرفة التوحيد، من أجل أن يحققه، ومن أجل أن يقوم به، ومن أجل أن يتعد عما يخل به أو يناقضه من الشركيات والبدع والخرافات ومن أجل أن يدعو إليه، فلا يكفي أن يكون مسلمًا دون أن يحقق الإسلام، ولن يحققه إلا إذا عرف أساسه وقاعدته التي بُني عليها وهو التوحيد.

فإن الناس إذا جهلوا مسائل التوحيد وجاهلوا مسائل الشرك وأمور الجاهلية يقعون في الشرك من حيث يدرون أو لا يدرون، وحينئذ تُقوض عقيدة التوحيد، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنما تُنقض

اهمية التوحيد ومكانته في الإسلام وفي الدعوة إلى الله 13

عُرِيَ الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية»^(١). وهل كل المسلمين يعرفون أمور العقيدة ويعرفون التوحيد؟ إذا كان العلماء منهم يعلمون ذلك فهم قلة وأقل من القليل، والعلماء بالمعنى الصحيح: أقل من القليل، وكلما تأخر الزمان فإن العلماء على الحقيقة يقلون، ويكثر المتعلمون، ويكثر القراء، ويكثر الرؤوس الجهال، كما قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتِزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَنَّتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(٢).

وفي حديث آخر: إنه في آخر الزمان يكثر القراء ويقل الفقهاء^(٣) وفي أثر آخر: في آخر الزمان يقل العلماء ويكثر الخطباء^(٤).

(١) هذا الأثر ذكره ابن تيمية رحمته الله في مجموع الفتاوى (١٠ / ٣٠١). وذكر ابن كثير رحمته الله في البداية والنهاية (١١ / ٦٥٠) أثرًا قريباً من ذلك فقال: "قَالَ الْحَارِثُ بْنُ مَسْكِينٍ عَنْ مَسْكِينٍ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ شَيْبٍ عَنْ عَزْقَدَةَ، عَنِ الْمُسْتَظَلِّ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: قَدْ عَلِمْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ مَتَى تَهْلِكُ الْعَرَبُ؛ إِذَا سَاسَهُمْ مَنْ لَمْ يُدْرِكِ الْجَاهِلِيَّةَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ قَدَمٌ فِي الْإِسْلَامِ".

(٢) أخرجه البخاري (١٠٠).

(٣) مستدرک الحاكم (٤ / ٥٠٤) قال الذهبي: صحيح.

(٤) روي عن الرسول صلوات الله عليه في مسند الإمام أحمد (٢١٣٧٢).

ومن هنا يجب علينا أن نهتم بجانب التوحيد، وأن نعتني به عناية تامة، بأن نُدْرُسَه، ونُدْرِسَه، ونحاضر فيه، ونعقد فيه الندوات والمؤتمرات، ونشكل فيه البرامج في وسائل الإعلام، ونكتب عنه في الصحف، وندعو إلى التوحيد، رضي من رضي وغضب من غضب؛ لأن التوحيد أساس ديننا، ومبنى عقيدتنا، ونحن أحوج الناس إلى أن نتعرف عليه، وأن نتدارسه، وأن نبينه للناس.

في العالم الإسلامي - ماعدا هذه البلاد التي حماها الله بدعوة التوحيد - تنتشر المشاهد الشركية المشيدة على القبور كما نسمع عنها أو كما رآها بعضنا ممن سافر، فالدين عندهم هو الشرك، وعبادة الموتى، والتقرب إلى القبور، ومن لم يفعل ذلك عندهم فليس مسلماً؛ لأنه بزعمهم يتنقص الأولياء، والدعاة في تلك البلاد لا يهتمون بأمر التوحيد، إنما يدعون الناس إلى الأخلاق الطيبة، وإلى ترك الزنا وشرب الخمر، فهذه كبائر ومحرمات بلا شك، ولكن حتى ولو ترك الناس الزنا وشرب الخمر والربا، وحسنوا أخلاقهم، ولم يتركوا عبادة القبور، فإن أساسهم غير صحيح، ودينهم غير صحيح ومقوض، ما داموا لم يتركوا الشرك.

وحتى من لم يشرك ما دام أنه لا ينكر الشرك، ولا يدعو إلى التوحيد، ولا يتبرأ من المشركين، فإنه يكون مثلهم؛ ولهذا يقول الله -جل وعلا- لنبيه: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَالِيًا بَصِيرَةً أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ^ط وَسُبِّحَنَ اللَّهُ ﴾ : وفيه توجيه من الله عز وجل يبعد عن الشرك والكفر والنفاق، ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وفي هذا البراءة من المشركين.

فالمسلم الموحد لا بد أن يتبرأ من المشركين، ولا يسعه أن يسكت والشرك يعج في البلد، والأضرحة تُبنى، والطواف بالقبور قائم، ولا يسع من يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسكت على هذا الوباء الخطير الذي يفتك في جسم الأمة، ويظل يدعو الناس إلى حسن السيرة والسلوك، وترك الخمر والزنا! فماذا يجدي ترك هذه الأمور مع فقد الأساس!؟

أنت حين تبني بناءً ، وعندما تريد إطالة الجدار أو إعلاء البيت ؛ فلا بد أن تهتم بالأساس والقواعد من أجل أن تقيم البناء الصحيح؟ أما إذا لم تهتم بالأساس وبقواعد البناء فإنك مهما شيدته وجمّلته ونمقته فإنه عرضة للسقوط، بل يكون خطرًا عليك وعلى من دخل هذا المبنى، ﴿ أَفَمَن ^ط أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ

عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْتَهَرَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ^٤ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ [التوبة: ١٠٩]. كذلك الدين إذا لم يقم على عقيدة
سليمة، وأساس صحيح، وتوحيد لله، وتنزيهه عن الشرك، والبراءة من
المشركين، فإن هذا الدين لا ينفع أهله؛ لأنه دين لم يُبين على أساس، ولم
يُبين على قاعدة.

عقيدة التوحيد أساس الشريعة الإسلامية

مكث النبي ﷺ بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى التوحيد، ويقول لهم: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تَفْلِحُوا»^(١)، والسور المكية التي نزلت على النبي ﷺ بمكة - كما ذكرت سلفاً - كلها تعالج قضية التوحيد، وتأسيس العقيدة، ثم لما تأسس التوحيد وقامت العقيدة نزلت شرائع الإسلام؛ ففرضت الصلاة على النبي ﷺ في مكة ليلة الإسراء والمعراج قبل الهجرة بأشهر بعدما تأسس التوحيد، ونزل الأمر بالزكاة في المدينة، بعدما بُنيت العقيدة، ثم نزل الصيام، والحج، ونزلت بقية شرائع الإسلام، ويوضح هذا جلياً أن الرسول ﷺ لما بعث معاذاً ﷺ إلى اليمن رسم له منهج الدعوة، وقال له: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى»^(٢)، بدأ بالتوحيد «فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ»^(٣)، يعني: شهدوا أن لا إله إلا الله ووجدت

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٦٠٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٩٦).

العقيدة «فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُوْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَرُدُّ عَلَىٰ فقَرَائِهِمْ»^(١).

فالتوحيد هو أول ما أمر النبي ﷺ معاذًا بالدعوة إليه، وهذا ليس خاصًا بمعاذ دون غيره، بل هو عام لكل من يدعو إلى الله - عز وجل - أن يبدأ بهذا الأصل: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَىٰ»^(٢)، «فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ»^(٣) أي: أجابوك لذلك وشهدوا أن لا إله إلا الله، واعترفوا بعقيدة التوحيد، فحينئذٍ أمرهم بالصلاة، ومُرهم بالزكاة، أما قبل أن يقرؤا التوحيد فلا تأمرهم بالصلاة لأنه لا فائدة من الصلاة دون توحيد، ولا فائدة من الزكاة ولا من الصيام ولا من الحج دون توحيد، بل لا فائدة من جميع الأعمال - حتى ولو كثرت - دون توحيد.

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٩٦).

والتوحيد أساس الشرائع السماوية

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ

لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٦﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ

مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦]، وقال سبحانه تعالى لما ذكر الأنبياء

من ذرية إبراهيم في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ

قَوْمِهِ ۚ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ ذُنُوبِهِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٦٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ

إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ

وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ ... ﴾ إلى آخر الآيات، ثم قال:

﴿ ... وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۚ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا

لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٨].

أول ما يبدأ به الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - دعوة الناس إلى

التوحيد، قال الله تعالى في نوح (عليه السلام): ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ۚ فَقَالَ

يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۚ ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال تعالى:

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَنْقَوْمِرِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ ﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۗ قَالَ يَنْقَوْمِرِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ ﴾ [الأعراف: ٧٣]، ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَنْقَوْمِرِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۗ ﴾ [الأعراف: ٨٥]، بل إنه سبحانه وتعالى أجمل الرسل في قوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۗ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَىٰ اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۗ ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي بِرِيهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٠].

فالتوحيد هو الأساس والأصل والقاعدة، فكيف نزهد في هذا الأمر ونغفل عنه ونخطئ من يدعو إليه؟ بل كيف يُقال: إن ذلك يُفرِّق بين المسلمين؟! بل على العكس من ذلك فالتوحيد يجمع كلمة المسلمين، ولا يستتب الأمن والاستقرار إلا على التوحيد. قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۗ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۗ ﴾

[النور: ٥٥]، بهذا الشرط، هذا هو الأساس، وإنما تحصل هذه المطالب العظيمة بعبادة الله وحده لا شريك له، فالتوحيد إذن هو الشرط والأساس وهو في قوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾.

فلا تجتمع كلمة الأمة، ولا يصح بناؤها إلا على عقيدة التوحيد الصحيحة، أما إذا دخل فيها الشرك، وتفشت فيها البدع والخرافات، وقيل: اتركوا الناس أحراراً في عقائدهم، لا تنفروهم، فهذا يحصل الاختلاف، ويحصل التفرق، ويدخل الشيطان بين صفوف المسلمين فيفرق جماعتهم كما هو الواقع.

أضرب لذلك مثلاً فأقول: كانت هذه البلاد قبل دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله إلى التوحيد متفرقة، وفي بلدان نجد كل قرية لها أمير وحكومة، وكل قرية تحارب القرية الأخرى، بل ذكر التاريخ أن أهل القرية الواحدة يتقاتلون فيما بينهم، ويكون سلب ونهب وقتل، فلما جاء الله - سبحانه وتعالى - بهذه الدعوة المباركة على يد هذا الرجل الصالح المصلح توحدت البلاد، وصارت تحت قيادة واحدة، وصارت لها دولة قامت على الدين وعلى التوحيد، ولا تزال والله الحمد.

وقبل هذه الدعوة المباركة كانت البلاد متفرقة، وكان الناس فيها يتبركون بالأشجار والأحجار، وكان السحرة يعملون عملهم بين الناس، وكان المشعوذون يتجولون في القرى ويخربون عقائد الناس، وكان الحكم عند القبائل بالعوائد الجاهلية، ولا أحد يحكم بالشرع، ولا وجود لعقيدة صحيحة، ولا اجتماع، فلما جاء الله بهذا النور وبهذه الدعوة المباركة توحدت البلاد، واطمأن العباد، وأقيمت الحدود وقام الجهاد، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وصار المسلمون إخوة، وتحقق كل ذلك ببركة عقيدة التوحيد الصالحة الصحيحة.

هذا نموذج قريب، وقبله كان العرب قبل بعثة الرسول ﷺ متفرقين مشتتين، ثارات وغارات وقبليات، فلما بُعث النبي ﷺ، ودعاهم إلى التوحيد، واستجابوا لله ورسوله، توحدوا وصاروا قوة هائلة في الأرض سادت العباد والبلاد، ذكر الله ذلك بقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا^١ وَأذْكُرُوا^٢ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، بين الله - سبحانه وتعالى - ما كانت حالتهم عليه قبل دعوة الرسول ﷺ، وما صارت إليه بعد دعوته ﷺ واستجابتهم له: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ

شَفَا حُفْرَةَ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٧﴾، ويقول - سبحانه وتعالى -: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤]، كانوا قبل بعثة الرسول ﷺ في ضلال مبين، وكانوا مطمئناً للشعوب الأخرى، فارس والروم، وكل دولة من دول الكفر كان لها نصيب في جزيرة العرب، فلما جاء الإسلام، ودخل العرب في دين الله، انعكس الأمر فصارت جزيرة العرب تسيطر على العالم، وامتدت الفتوح، وانتشر الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

والإمام مالك - رحمه الله - يقول: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها»، فإذا كانت هذه الأمة الآن تريد الاجتماع، والقوة، والائتلاف، فإنه لا يصلحها إلا ما أصلح أولها، ألا وهو التوحيد، ولا يُصلح آخر هذه الأمة إلا التوحيد، والاجتماع على كلمة التوحيد، وعلى كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

فالعقيدة الصحيحة والعمل الصالح هو ما يجمع الأمة، والله تعالى يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣]،

الهدى: هو العلم النافع، ودين الحق: هو العمل الصالح، ولا يمكن أن تجتمع هذه الأمة إلا بالعلم النافع والعمل الصالح الذي أساسه التوحيد، وإفراد الله - سبحانه وتعالى - بالعبادة.

ما هو التوحيد؟

التوحيد: هو إفراد الله تعالى بالعبادة، وليس التوحيد ما يقوله بعض الجهال أو الضلال: إن التوحيد هو الإقرار والاعتراف بوجود الله، أو الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، ذلك توحيد الربوبية الذي أقرّ به المشركون ولم يدخلهم في الإسلام، يقول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اَللّٰهُ قُلِ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ۗ بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ ﴿٢٥﴾﴾ [لقمان: ٢٥]، ويقول - سبحانه وتعالى -: ﴿اَمَّنْ يَّبَدُوْا اَلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اَءِلٰهٌ مَّعَ اَللّٰهِ ۗ قُلْ هٰتُوْا بُرْهٰنَكُمْ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٦٤]، ويقول - سبحانه وتعالى -: ﴿قُلْ لِمَنْ اَلْاَرْضُ وَمَنْ فِيْهَا اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ ﴿٨٤﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤، ٨٥].

فهم مقرون بأن الله هو الخالق الرازق الذي يملك السموات والأرض ومن فيهن، لكنهم مشركون في الألوهية، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام؛ حتى أقرّوا واعترفوا بأن العبادة حق لله سبحانه وتعالى، فأفردوا الله بالعبادة، وتركوا عبادة الأصنام والقبور، والأوثان،

والأشجار والأحجار، وأخلصوا العبادة لله، حيثئذ صاروا مسلمين، أما الاقتصار على توحيد الربوبية فهذا ما أقرب به أبو جهل رأس الكفر، وأبو هب، وكل الكفرة، أقرّوا بتوحيد الربوبية وأنّ الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر، لكنهم كانوا يعبدون معه الأصنام - اللات والعزى ومناة والأولياء والصالحين - فصاروا مشركين، وصاروا موحدين توحيد الربوبية ومشركين بالألوهية، ولا ينفع توحيد الربوبية دون توحيد الألوهية.

لا بد من توحيد الألوهية الذي هو إفراد الله بالعبادة وترك عبادة من سواه، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطُّغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

قال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ»^(١)، فهو يقاتل المشركين الذين كانوا يقرّون أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر، ويعترفون أن

آلهتهم التي يعبدونها لا تخلق ولا ترزق ولا تدبر من الأمر شيئاً ، وإنما اتخذوها شفعاء ووسائط بينهم وبين الله بزعمهم، ومع إقرارهم بتوحيد الربوبية لما قال لهم رسول الله ﷺ: (قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) (١)، قالوا: ﴿ أَجْعَلُ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ (٢) وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ ءِالِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٣﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْأَخْرَىٰ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَخْتَلَقُ ﴿٤﴾ [ص: ٥ - ٧]، يعني: كذب. يتهمون الرسول ﷺ بالكذب لما دعاهم إلى توحيد الألوهية: ﴿ أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوُقُوا عَذَابِ ﴿٥﴾ [ص: ٨]، وقال تعالى في الآيات الأخرى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٦) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوا ءِالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٧﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨﴾ [الصفات: ٣٥ - ٣٧]، المرسلون كلهم يدعون إلى لا إله إلا الله، وخاتمهم وإمامهم وأفضلهم محمد ﷺ صدقهم بموافقتهم لهم ودعا إلى التوحيد: ﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٦٠٢٣).

[الصفات: ٣٧] أي المرسلين الذين من قبله؛ لأنهم كلهم دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

لو كان يكفي أن يقولوا بأن الله هو الخالق الرازق لما قال لهم: « قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ »، لو كان معنى لا إله إلا الله هو الإقرار بالخالق الرازق لما قال لهم: « قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ »، فدلّ على أنه لا بد من إفراد الله تعالى بالعبادة، قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۗ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١- ٢٢]، لا تجعلوا لله شركاء في العبادة وأنتم تعلمون أنه لا خالق ولا رازق إلا الله سبحانه وتعالى، وتقرّون أن آلهتكم هذه لا تخلق ولا ترزق، وقد احتج الله تعالى عليهم بما أقرّوا به من توحيد الربوبية على ما جحدوه من توحيد الألوهية.

فتوحيد الألوهية هو مناط السعادة والشقاوة، ولا بد من تحقيقه، ولا بد من الدعوة إليه، وبيانه للناس، فالذي يقول: لا إله إلا الله بلسانه، ولكنه يعبد القبور، ويعبد الأشجار والأحجار، ويتقرّب إلى الأولياء والصالحين والجن والملائكة بشيء من العبادات، مشرك كافر بالله

سبحانه وتعالى، يجب أن يُدعى إلى توحيد الألوهية، فإن أقرب به وإلا قُتِل .
 قال الله تعالى: ﴿ وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ
 فَإِنَّ آنتَهُوَا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ
 اللَّهَ مَوْلَانِكُمْ نِعَمَ الْمَوَالِي وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٩، ٤٠]، ﴿ وَقَتِلُوهُمْ
 حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾: أي: شرك ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ أي: لا
 يكون فيه شيء للقبر ولا للصنم ولا للولي ولا للملك ولا للجن ولا
 للإنس، بل يكون الدين كله لله، بإخلاص العبادة لله بالصلاة، والصيام،
 والدعاء، والخوف، والرجاء، والنذر، والرغبة، والرغبة، والذبح، وغير
 ذلك، يكون كله لله.

أما من كان يقسم الدين بين الله وبين غيره، بين الله وبين القبر، بين الله
 وبين والولي، فهو مشرك بالله عز وجل، كافر به، يقول الله تعالى في الحديث
 القدسي: «أَنَا أَعْنَى الشَّرْكَاءِ عَنِ الشَّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي
 تَرَكْتُهُ وَشَرَكُهُ»^(١)، وفي رواية: «فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ»^(٢).

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٢).

فالله - عز وجل - لا يقبل العمل الذي فيه شرك، ولا يقبل إلا العمل الخالص لوجهه الكريم سبحانه وتعالى، ولا بد مع ذلك البراءة من المشركين ومن الشرك، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠]، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴾ [المتحنة: ٤]. هذا هو الدين، وهذه هي ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٣].

ملة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - هي: إفراد الله تعالى بالعبادة، وترك عبادة ما سواه، والبراءة من عبادة غير الله ومن أهلها، وتلك هي ملة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - التي لا يدخل أحد الجنة ولا ينجو أحد من النار إلا باتباعها.

فأمر العقيدة وأمر التوحيد أمر عظيم، والكفار من اليهود والنصارى والوثنيين يُدعون إلى التوحيد، وكذلك المرتدون من المسلمين الذين قالوا: لا إله إلا الله، ودخلوا الإسلام، ثم نكصوا على أعقابهم وصاروا يدعون القبور، هؤلاء ندعوهم إلى التوحيد والرجوع إلى الدين من جديد، فإن تابوا وإلا قتلوا، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحَرَامَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ^٤ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَآتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ^٥ ﴾ [التوبة: ٥]، وفي الآية الأخرى: ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَآتُوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ^٦ ﴾ [التوبة: ١١].

فالمشرك والكافر يُدعى إلى الدخول في الإسلام، والمرتد من المسلمين يدعى إلى التوبة وتصحيح الدين الذي أدخل به وبعقيدته، ويدعى إلى إخلاص العبادة والتوبة من عبادة القبور، والتوبة من التقرب إلى الأولياء والصالحين، وتحقيق معنى لا إله إلا الله التي ينطق بها ويتكلم بها، وكذلك المسلم الموحد الذي لا يصدر منه شرك أيضاً يبين له التوحيد الصحيح لئلا يخطئ تقدير الأشياء، يبين له التوحيد الصحيح، وتُشرح له العقيدة وتُبين له، خصوصاً أولاد المسلمين وعوام المسلمين، وطلبة العلم المبتدئون الذين لم يتمكنوا، يُبين

لهم معنى التوحيد الصحيح، ومعنى العقيدة الصحيحة، وكذلك العلماء الضلال - أيضًا - يُدعون إلى تصحيح علمهم وعقيدتهم.

كان اليهود علماء، لكنهم علماء سوء، قال الرسول ﷺ لمعاذ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»^(١) أي: علماء «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى»^(٢)، فهم أهل علم وأهل دين ويدعون إلى شهادة أن لا إله إلا الله؛ لأنهم تركوها وهم يدعون أنهم على دين. فالانتساب إلى الدين لا يكفي، يقول الله تعالى: ﴿قَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

فالعالم إذا انحرف فإنه يدعى إلى التوحيد ولو كان عالمًا فإن استجاب وإلا فإنه يقتل إن كان فردًا، أما إن كانوا جماعة فإنهم يقاتلون حتى يكون الدين كله لله عز وجل.

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٧٢).

ما هي العبادة؟

العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.

وتكون العبادة بالقلب؛ من الخوف، والخشية، والرجاء، والرغبة، والرغبة، والتوكل، والإنابة، والإخلاص، وغيرها من أعمال القلب، وتسمى عبادة قلبية.

وتكون العبادة على اللسان؛ من ذكر الله سبحانه وتعالى، والتسبيح، والتكبير، والتهليل، والتحميد، كل ذلك عبادة يتحرك بها اللسان.

وعبادة على الجوارح؛ من الصلاة، والصوم، والحج، والجهاد في سبيل الله، وإخراج الزكاة، وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالعبادة: كل ما شرعه الله من الأفعال والأقوال الظاهرة والباطنة، وكلها يجب أن تُفرد وتُخلص لله عزّ وجل، ولا تكون فيها شائبة شرك،

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن

كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾

[الكهف: ١١٠]، لم يقتصر على قوله: ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾، بل قال:

﴿ وَلَا يُشْرِكْ ﴾؛ لأن العمل الصالح إن دخله شرك بطل وفسد وإن كان في الأصل صالحاً، ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾.

والعمل لا يقبل إلا بشرطين:

الشرط الأول: الإخلاص لوجه الله تعالى.

الشرط الثاني: المتابعة للرسول ﷺ.

وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ يعني: بلى يدخل الجنة ﴿ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [البقرة: ١١١، ١١٢]. لا يدخل الجنة إلا بهذين الشرطين:

الشرط الأول: الإخلاص في العمل بحيث لا يكون فيه شرك أكبر ولا شرك أصغر.

الشرط الثاني: الإحسان، ومعناه المتابعة للرسول ﷺ.

فكل عمل لا يتوفر فيه هذان الشرطان -الإخلاص لله والمتابعة لرسوله ﷺ- فإنه يكون باطلاً، فالعمل إذا كان فيه شرك فهو باطل، وإذا كان العمل فيه بدعة فهو مردود؛ لقوله ﷺ: « مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ

أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(١) ، وفي رواية: « مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ »^(٢) ، فمهما حسنت نية الإنسان وقصده إذا كان يعمل عملاً لم يشرعه الرسول ﷺ فهو بدعة، وهو مردود عليه لا يقبل منه شيء، وهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

معنى شهادة أن لا إله إلا الله: الإخلاص لله عز وجل بعمل الأعمال الصالحة، ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: متابعتة ﷺ، والاقتراء به، وترك ما نهى عنه، وتصديقه ﷺ.

أما من يشهد أن محمداً رسول الله، ولكنه لا يتبعه، ولا يعمل بشريعته، بل يعمل بالبدع والمحدثات، فلا تصح شهادته: بأن محمداً رسول الله، كالذي يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وهو يشرك.

فلا بد من الإخلاص وهذا هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، ولا بد من المتابعة للرسول ﷺ وهذا هو معنى شهادة أن محمداً رسول الله.

فإذا كنت تشهد أنه رسول الله، ولكن تُحدث بدعاً، أو تقتدي بالابتدعة والمخرفين، فمعناه أنك اتخذت الابتدعة والمخرفين رسولا، وتركت

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٧١٨).

الرسول ﷺ، في حين أنه هو المُشَرَّع ﷺ، وليس المُشَرَّع فلان أو علان، أو العالم الفلاني، أو الشيخ الفلاني، وإنما العلماء يتبعون الرسول ﷺ ويقتدون به، أما من انحرف عن طريقة الرسول ﷺ فإنه لا يُتبع ولا يُقتدى به ولو كان عالمًا.

فهناك من علماء الضلال الكثير الذين أضلوا الناس، والنبى ﷺ يقول: «وإنما أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ»^(١)، فالرسول ﷺ يخشى على أمته الأئمة المضلين، الذين يدعون إلى البدعة وإلى الخرافة، ويدعون إلى المحدثات، وإلى عبادة غير الله والعياذ بالله.

إن الدين هو ما جاء به النبى ﷺ، وما توفي ﷺ إلا والدين قد تكامل، فكل من يأتي بإضافة بعد الرسول ﷺ ويريد أن يجعلها من الدين لا نقبلها، ونرد عليه بدعته، والله تعالى يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. هذه الآية نزلت على النبى ﷺ وهو واقف بعرفة في حجة الوداع، ولم يعيش بعدها إلا شهرين وأيامًا وتوفي ﷺ، فما تُوفي إلا وقد أكمل الله تعالى به الدين، فحسبنا أن

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢).

نعمل بما جاء به ﷺ، من غير زيادة ولا نقصان، وذلك نهج من يريد النجاة، أما من يريد أن يضل ويضل الناس فإنه يشرع لهم ويأتيهم بعبادات وتقاليد ومحدثات.

وعظ النبي ﷺ أصحابه موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، حتى قالوا له: يا رسول الله، كأنها موعظة مودّع، أي: فهموا أن أجل الرسول ﷺ قد قرب، فطلبوا منه الوصية، قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعصوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»^(١) «وكل ضلالة في النار»^(٢).

وكان ﷺ يقول في خطبه: «إن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧).

(٢) أخرجه النسائي (١٧٨٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٤٣٣٤).

هكذا كان النبي ﷺ يوصي الناس بالتمسك بكتاب الله، وسنة رسول الله، ويحذره من البدع والمحدثات، والله تعالى أنزل علينا وفرض علينا قراءة سورة الفاتحة في كل ركعة من صلواتنا، وفي آخرها: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]، الذين أنعم عليهم هم أهل العلم النافع والعمل الصالح، أهل التوحيد والافتداء والاتباع، ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿١٦﴾ ﴾ [النساء: ٦٩].

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: ﴿ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ ، ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ المغضوب عليهم هم العلماء الذين يدعون الناس إلى الضلال، والذين لا يعملون بعلمهم، يعرفون الحق ويدعون إلى خلافه؛ لهوى في نفوسهم، أو لأطماع يحصلون عليها، أو رئاسات يتبؤونها، ويدعون الناس إلى غير ما يعلمون، من أجل أن يترأسوا عليهم، ومن أجل أن يتأكلوا منهم، ومن أجل أن يضلواهم عن سواء السبيل.

فالمغضوب عليهم كل من كان عنده علم ولكنه يخالفه ولا يعمل به، وفي طليعتهم اليهود، فإن اليهود عندهم علم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ - يعني محمداً ﷺ - ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، فاليهود يعلمون، ولكنهم لا يعملون بعلمهم، فهم مغضوبٌ عليهم، وكذلك مثلهم من هذه الأمة كل عالم يخالف علمه، ولا يعمل به، ولا يفتي بالحق، ولا يقول الحق، ولا يدعو إلى التوحيد، ولا يحذر الناس من الشرك.

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾: الضالّون هم الجهال الذين يعبدون الله على جهل وعلى غير دليل، بل بالبدع والخرافات والمحدثات التي ما أنزل الله بها من سلطان، فكل مخرف، وكل مبتدع، وكل مُحَدِّث في الدين ما ليس منه، فهو داخل في الضالين؛ ولهذا يقول عبدالله بن المبارك - رحمه الله - : «من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبّادنا ففيه شبه من النصارى»، ومصادق هذا في الآية: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

فالحاصل: أن التوحيد هو الأساس، والعقيدة هي رأس الدين، ويجب أن نهتم بها، وندعو الكفار إليها، وندعو المرتدين إلى أن يرجعوا إليها وإلا يقتلون على ردتهم، قال ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(١)، وقال ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا بِأِحْدَى ثَلَاثِ الثِّيْبِ الزَّانِ وَالنَّفْسِ بِالنَّفْسِ وَالتَّارِكِ لِدِينِهِ الْمُفَارِقِ لِلْجَمَاعَةِ»^(٢)، فالتارك لدينه هو المرتد يقتل، والمفرق لجماعة المسلمين وإمامهم يقتل.

وكذلك ندعو المسلمين إلى أن يحققوا التوحيد، فبين لهم العقيدة الصحيحة، ونعلمهم إياها، ونعلمهم ما يخل بالعقيدة من الشرك الأكبر والأصغر والبدع والخرافات، ونعلمهم الطرق التي تخل بالعقيدة من أجل أن يجتنبوها؛ لأنهم إذا جهلوا وقعوا فيها. ولا نلتفت للدعاءات القائلة إن المسلمين لا يحتاجون إلى أن ندعوهم للتوحيد!! وأولاد المسلمين أولاد بيثة، وهم مسلمون دون تعليم، يتعلمون الدين من بلادهم ومن بيئتهم، لا يحتاجون إلى تعلم أركان الإسلام، ولا أركان الإيمان، ولا أركان التوحيد، ولا أحكام العبادات والمعاملات!

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٧٦).

فتلك ادعاءات من جهل قيمة التوحيد، أو من يعلم ولكنه مضلل يريد تضليل المسلمين والعياذ بالله.

بل إن بعضهم كتب في بعض الصحف يدعو إلى حذف التوحيد من المقررات في المدارس؛ بدعوى أن أولاد المسلمين أولاد بيئة وأولاد فطرة، ولا يحتاجون إلى بيان التوحيد!

سبحان الله! إذا لم نعلمهم التوحيد كيف يعرفون الدين؟! وكيف يعرفون عبادة الله سبحانه وتعالى؟! وهل يأخذون الدين من العادة؟! ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٢]. بل يجب أن يأخذوا الدين عن علم وعن اعتقاد وعن معرفة: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: ١٩]، وقال الله تعالى لنيه: ﴿ فَأَعْلَمَ ﴾ وهو أمر بالعلم قبل القول والعمل، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦]. لا يكفي المسلم أن يشهد أن لا إله إلا الله دون أن يعرف معنى هذه الشهادة، ويطبقها، ويدعو إليها،

ويوالي أهلها، ويعادي أعداءها، لا يكون مسلمًا إلا بذلك، هكذا دين المسلمين.

فالعقيدة هي أساس ديننا، وهي قاعدة شريعتنا، ولا يصح عمل إلا بتصحيح العقيدة مهما كانت الأعمال، فالله تعالى يقول في الكفار والمشركين الذين يعملون من غير عقيدة: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ۗ ﴾ [الفرقان: ٢٣]، والهباء هو الغبار الذي يطير في الهواء أمام شعاع الشمس، فأعمال الكفار يوم القيامة تصير هباءً؛ لأنها لم تبني على عقيدة.

ويقول سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ تَحْسَبُهَا الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۗ ﴾ [النور: ٣٩]، شبه الله تعالى حال المشرك والكافر - والعياذ بالله - إذا جاء يوم القيامة وهو بحاجة إلى الحسنات وبحاجة إلى الأعمال الصالحة، ولم يجد شيئًا بسبب شركه، بحال الضمآن وهو يبحث عن الماء حتى إذا رأى سرابًا ظنه ماء فإذا اقترب منه لم يجد شيئًا، فماذا تكون حاله عند ذلك؟ ويقول - سبحانه وتعالى -: ﴿ مَثَلُ

الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَأُؤُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَأَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

[إبراهيم: ١٨]. هذه أمثلة القرآن في أعمال المشركين والكفار وإن كانت كثيرة فإنها تصير هباء؛ لأنها لم تكن على أساس العقيدة.

إذاً فالعقيدة أمر مهم، لا يجوز لمسلم أن يتساهل بشأنها، وأن يحقر من شأنها، وأن يقلل من أهميتها، وأن يركز الاهتمام على النهي عن المعاصي من الربا، والزنا، والسفور، وغيره..! في حين أن بعض الناس واقعون فيما هو أكبر من ذلك وهو الشرك والكفر بالله.

فالبلاد التي أهلها واقعون في الشرك، في وضح النهار، تُبنى فيها المساجد على القبور، ويروحون إليها ويطوفون ويذبحون وينذرون لها، فكيف مع هذا نتعamy، ونقتصر في دعوتنا على تحسين الأخلاق والزهد؟!

والبعض يقول إن الشرك هو محبة الدنيا، والتوحيد إخراج الدنيا من القلوب، والبعض الآخر يقول إن الشرك هو الحكم بغير ما أنزل الله، ولا بد أن نترك المحاكم تحكم بالشرع، وهذا مطلوب بيد أنه لا يكفي مادام الشرك موجوداً، وما دام في البلد أضرحة، وقبور، ودعاة إلى الشرك، فلا

يوجد الشرك في الحاكمية فقط، بل الشرك: هو عبادة غير الله سبحانه وتعالى، وتدخل فيه الحاكمية. فلو قال الرسول ﷺ للمشركين: لنجتمع ونبطل الحكم بعوائد الجاهلية، ونحكم بين الناس بالشرع، ولكن اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى تبقى، كلُّ على دينه، كما يقول بعضهم: (لنجتمع على ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه)، وإذا اختلفنا في العقيدة فعلى ماذا نتفق؟! فما كان ليقوم الدين الإسلامي الحنيف على هذا، ولا كانت الأمة لتستقيم به.

فلا بدّ من تصحيح العقيدة أولاً، وتحقيق لا إله إلا الله، ولا بد من إزالة الشرك ومظاهره من البلد، ثم تأتي بعد ذلك أوامر الدين وشرائعه؛ لأننا إذا حققنا الأساس أقمنا عليه البناء الصحيح، وإلا فمثل الذي أقام الدين على غير عقيدة لا إله إلا الله كمن أقام بناية تتكون من مائة وعشرين طبقاً على أساسٍ هارٍ، فإن مآلها الانهيار بمن فيها، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٩].

فالواجب علينا أن نعرف هذا الأمر، وأن نهتم به، وأن ندرسه أولاً نحن ثم ندرسه لأبنائنا وإخواننا، وأن نحرص عليه، وأن نكثف مناهجه في المدارس والمعاهد والكليات، وأن نكثف دراسته في المساجد، وأن نَعمر به بيوتنا ودروسنا. هذا هو الأساس الصحيح، وماعداه فهو تابع له ومكمل له.

والذي ندعو إليه هو: تصحيح العقيدة، والعناية بها، وتعلمها، وتعليمها، وتأليف الكتب والرسائل فيها ونشرها، وطبع كتب العقيدة الصحيحة ونشرها وتوزيعها، ثم يتبعها بقية أوامر وشرائع الدين، وأمور الدين كلها تابعة للعقيدة، فالعقيدة بمنزلة الرأس من البدن، لو كان البدن متكامل الأعضاء، لكنه دون رأس، فإنه لن يكون سوى جيفة لا فائدة ترجى منها...

وإذا كان رأس الإنسان سليماً، وانقطعت يده أو رجله، أو أحد أطرافه فإنه يعيش، ويمشي ويأكل، ويتزوج، لكن إذا انقطع رأسه وأعضاؤه كلها سليمة فإن سلامة بقية الجسم لا تفيد شياً، كذلك الدين إذا زالت منه العقيدة زال الدين، مهما كانت صورة الأعمال بعد ذلك.

نسأل الله -عزّ وجل- أن يرزقنا معرفة الحق، والعمل به، والدعوة إليه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَالْعَصْرِ
﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكُفْرٌ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا
بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، ولجميع المسلمين من كل
ذنب، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.

الأسئلة

سؤال: ما هو الصحيح الراجح في حكم أهل الفترة؟

الجواب: أهل الفترة هم الذين لم تبلغهم دعوة الرسل، بأن كانوا يعيشون مثلاً في بلاد منقطعة لم تصل إليهم دعوة الرسل، هؤلاء يقول الله تعالى فيهم في القرآن الكريم: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥]، فالذي لم تبلغه الدعوة أمره إلى الله سبحانه وتعالى، وأصح الأقوال فيهم أنهم يمتحنون يوم القيامة، يُرسل إليهم رسول هناك، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.

سؤال: ما هو سبب قلة التذكير بالتوحيد من جانب الدعوة

والمصلحين في نظرك؟

الجواب: أعتقد أن هذا من باب التواكل، فكل أحد يتكل على الثاني، أو أنهم يتأثرون بما يقرؤون أو يسمعون من بعض الكتاب أو بعض الدعاة الذين يزهدون في الدعوة للتوحيد، ويزهدون في دعوة العقيدة، ويقولون: إن الناس أحرار في عقائدهم، وما أشبه هذه المقالات الباطلة، يقرؤون من هذا الكلام الباطل ويتأثرون به، ولكن كما ذكرنا هذا أمر

عظيم لا يجوز التساهل فيه، فالإنسان أول ما يوضع في قبره يأتيه ملكان فيقعدهانه، وتُرد روحه لجسده ثم يُسأل فيقال له: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ فإن قال: ربي الله، والإسلام ديني، ونبيي محمد ﷺ نادى منادٍ من السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، ويوسع له في قبره مد بصره، ويأتيه من ريح الجنة وروحها، وينظر إلى مسكنه في الجنة ويقول: يا رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي. هذا الذي حقق التوحيد وعرف العقيدة وعمل بها، وأما الثاني - والعياذ بالله - فهو المنافق والمرتاب، الذي لم يهتم بالعقيدة أو يحذر من ذكرها في الدنيا، فهذا إذا قيل له: من ربك؟ يقول: ها ها لا أدري، من نبيك؟ يقول: ها ها لا أدري، ما دينك؟ يقول: ها ها، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، فيقال له: لا دريت، ولا تليت، ثم ينادي منادٍ من السماء: أن كذب عبدي، فافرشوه من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، ويضيق عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه، ويقول: يا رب لا تقم الساعة^(١)؛ لأنه ينظر إلى مقعده من النار ومنزلته من النار والعياذ بالله فلا يريد الرجوع إليه.

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠)، وأبوداود (٤٧٥١)

و(٤٧٥٣)، والترمذي (١٠٧١).

هذا كله نتيجة عدم الاهتمام بالتوحيد، وعدم التمسك بعقيدة التوحيد، فكيف يُقال بعد هذا: إن عقيدة التوحيد أمرها سهل، ويكفي أن يقول الإنسان: أنا مسلم، أو يقول: لا إله إلا الله بلسانه، ولا يلزم من ذلك أن يتفقه في معناها ويعرفه ويعمل بها، هذا تغرير من الشياطين: شياطين الإنس والجن، أو من الجهال الذين لا يعلمون أمر العقيدة.

سؤال: ما هي نصيحتكم لجماعة التبليغ؟

الجواب: نصيحتي لكل مسلم من جماعة التبليغ وغيرهم أن يرجعوا إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله ﷺ، وإذا كان عندهم أخطاء أن يتوبوا إلى الله عز وجل، فإن الله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، فالواجب على كل مسلم أن يعرض عمله ومنهجه على كتاب الله، وعلى سنة رسول الله ﷺ، وعلى هدي السلف الصالح من الصحابة والتابعين، فيما كان موافقاً فالحمد لله، وما كان مخالفاً فبإمكانه التصحيح والتوبة إلى الله عز وجل، والرجوع إلى الله ما دام على قيد الحياة. هذه وصيتي لجماعة التبليغ ولغيرهم ولنفسى أولاً، فلسنا معصومين، كلنا عنده أخطاء، ولكن لا بد من محاسبة النفس والرجوع إلى

كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومنهج السلف الصالح، يقول الله تعالى:
﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
بِإِحْسَانٍ ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فلا بد من اتباع السابقين الأولين من
المهاجرين والأنصار بإحسان، فعلى جماعة التبليغ، وعلى غيرهم من سائر
المسلمين أن يرجعوا إلى هذا، وأن يصحح كل منا ما عنده من الأخطاء،
ويتوب إلى الله سبحانه وتعالى، والله يتوب على من تاب.

وجماعة التبليغ بالذات منشؤها الديوبندية الصوفية أصحاب طرق
ولا يهتمون بالعقيدة ولا بالتعليم، فهم جهال فكيف يكونون دعاة وهم
جهال؟! وكيف يكونون دعاة وهم لا يهتمون بالعقيدة الصحيحة
ويمشون على منهج مخالف للكتاب والسنة في فقراته التي ابتدعوها، ولا
يغتر بكثرة أتباعهم، فالعبرة ليست بالكثرة وإنما العبرة بصحة المعتقد
والمنهج. وكونهم يتوبون العصاة كما يقولون فهم لا يتوبونهم من البدعة
إلى السنة وإنما يتوبونهم من المعصية إلى البدعة والبدعة شر من المعصية.
وأتباع جماعة التبليغ صاروا يسمون أنفسهم جماعة الأحاب من باب
التليس.

سؤال: نسمع كثيراً من الناس يقولون: يا وجه الله، فما رأيكم في هذه الكلمة؟

الجواب: لا يجوز أن يقول الإنسان: يا وجه الله، بل يقول: يا الله؛ لأن وجه الله صفة من صفاته سبحانه وتعالى، ولا تُدعى الصفة، بل يُدعى الموصوف، ويتوسل إليه بالصفة، فيقال: يا الله، يا كريم، يا رحيم، يا رحمن، يا تواب، يا غفور، يدعو الله ويناديه بأسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فإله - جل وعلا - يُدعى بصفاته سبحانه، يا رحمن، يا رحيم، يا حي، يا قيوم، برحمتك أستغيث، ومن عذابك أستجير، إلى آخر الأدعية النبوية.

سؤال: الولاء والبراء من عقيدة أهل السنة والجماعة، فما هو؟ وكيف نطبقه على أرض الواقع؟

الجواب: لاشك أن الولاء وهو موالاتة المؤمنين ومحبتهم ومناصرتهم أمر واجب، والبراء هو بغض المشركين والكفار والمنافقين والبعد عنهم بأن لا نحبههم ولا نناصرهم ولا ندافع عنهم ولا نمدحهم، هذا أمر واجب، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ

قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَّاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿ [المتحنة: ٤] ،
 وقال: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴿ [المجادلة: ٢٢] ، وقال: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ
 الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿ [١١٩] وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿ [المائدة: ٥٥، ٥٦] ، وقال: ﴿ يَتَأَيُّهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿ [التوبة: ١١٩] ،
 فالواجب موالاتة المؤمنين، ومعاداة الكافرين، وهذا من أصول عقيدة
 المسلمين، ومن ملة إبراهيم التي أمرنا باتباعها.

سؤال: هل التوحيد في ترقيق القلوب وشحذ همتها للعمل الصالح

أفضل، أم الاقتصار على بعض الرقائق في هذا الجانب؟

الجواب: التوحيد هو بيان العقيدة الصحيحة، والأساس السليم، ثم
 يأتي بعد ذلك دور المواعظ ودور التزهيد في الدنيا والترقيق، هذا يأتي بعد
 تقرير التوحيد، وبعد تصحيح العقيدة، أما الترقيق والتزهيد مع وجود
 الخلل في العقيدة فإنه لا ينفع ولا يفيد، ولا شك أن الصوفية عندهم رقة
 وعندهم زهد، لكن الكثير منهم عندهم خلل في العقيدة وعندهم شرك،
 مما يجعل الرقة والزهد لا ينفعانهم ولا يفيدانهم شيئاً.

سؤال: ما حكم الجمعيات التعاونية التي يعملها الموظفون اليوم؟
الجواب: الذين يجتمعون من الموظفين، كلُّ يدفع مبلغاً ويأخذه الأول منهم هذا الشهر، وفي الشهر الثاني يأخذه ثانٍ وهكذا.. هذا يسمى القرض الدوري، وأنا لا أجزيه؛ لأنه قرض جر نفعاً، لأنك ما أقرضت زملاءك إلا بشرط أن يقرضوك، وهذا قرض جر نفعاً، أيضاً هو عقد مشروط بعقد، وقد نهى النبي ﷺ عن بيعتين في بيعة^(١)، تقول: لا أقرضك حتى تقرضني، لا أبيع عليك هذا الفأس إلا بشرط أن تباع عليّ هذه السجادة، فهذا يتنزل في باب بيعتين في بيعة ولا يجوز، ومنه: لا أقرضك حتى تقرضني، وإن كان بعض العلماء أجازوه، ولكنني لا أرى جوازه.

سؤال: يوجد في وسط مزرعتي قبر قديم له أكثر من مائة سنة، ولا أدري السابق القبر أو المزرعة، فهل يجوز لي نبشه؛ لأن أهلي يدخلون المزرعة ويتضايقون منه؟

الجواب: لا يجوز لك نبشه وإنما ينبش بأمر من المحكمة على يد لجنة معتمدة، تراجع المحكمة الشرعية؛ لأن هذا من شؤونها، والمحكمة تنظر

(١) أخرجه الترمذي (١٢٣١).

في هذا الموضوع، تخرج لجنة تقف على القبر وترى مكان القبر وتقرر ما إذا كان ينش أو ينش عليه سور يحفظه.

سؤال: أرجو توجيه كلمة لشباب المركز الصيفي الذين هم معنا

الآن؟

الجواب: لاشك أن الشباب هم أبناء المسلمين وهم الذين سيكونون رجال المستقبل، فيجب عليهم أن يتهيؤوا للمسؤولية وللمستقبل الذي ينتظرهم بإذن الله، بأن يقوموا بأمر المسلمين ويخلفوا آباءهم؛ لأن سنة الله سبحانه وتعالى في خلقه أنه كلما قضى جيل يأتي بعده جيل آخر إلى أن تقوم الساعة، والمسلمون يخلف بعضهم بعضاً في الدعوة إلى الله والقيام بالإسلام وحفظ الدين، فمسؤولية الشباب التي تنتظرهم مسؤولية عظيمة، لا بد أن يتهيؤوا لها من الآن، بأن يتعلموا العلم النافع، ولا بد أن يتمسكوا بالدين، وأن يحذروا من المعاصي ومن البدع ومن قرناء السوء، ومن الجلوس السيئين، وعليهم بعد عبادة الله سبحانه وتعالى أن يبروا بأبائهم ويطيعوهم في غير معصية الله، وأن يحذروا من العقوق والاستكبار على الوالدين ومعصية الوالدين، فإن العقوق من أكبر الكبائر بعد الشرك، فأوصي شباب المركز، وغيرهم من شباب المسلمين أن يعرفوا

مسؤوليتهم، ويعرفوا ماذا ينتظرهم من القيام بالواجبات، وأن يطيعوا الله ورسوله، وأن يبروا بأبائهم وأن يكونوا أنفسهم بتعلم العلم النافع وحفظ القرآن الكريم، وما تيسر من أحاديث الرسول ﷺ، وتعلم التوحيد والعقيدة وحفظ المتون في الفقه، والتوحيد، والنحو، والعربية، ويحفظوا المتون التي تكون ذخيرة في أيديهم ويطالعوا الشروح ويرتبطوا بأهل العلم ارتباطاً وثيقاً بحيث لا يقتصرون على القراءة، أو يقرؤون على أمثالهم من الجهلة، أو يقرؤون على أناس غير معروفين بسلامة العقيدة، بل لا بد أن يرتبطوا بعلمائهم الذين عرفوا بالعلم النافع، والعمل الصالح والعقيدة السليمة، هذا ما أوصي به شباب المركز وغيرهم من شباب المسلمين.

سؤال: ما حكم من يذهب إلى الكهان والمنجمين؟

الجواب: يقول النبي ﷺ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ^(١) ﷺ؛ لأن الكاهن يدعي علم الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، فمن ادعى علم الغيب فقد كفر، ومن صدقه فقد كفر، والواجب على المسلمين أن لا يذهبوا إلى الكهان،

(١) أخرجه الإمام أحمد (٩٥٣٦).

ولا يكفي أنهم لا يذهبون إليهم، بل يجب عليهم أن يقوموا بالإنكار على هؤلاء، وأن يرفعوا بشأنهم إلى ولاية الأمور من أجل القبض عليهم ومحاکمتهم وتنفيذ حكم الله تعالى فيهم، حتى يستريح العباد والبلاد من شر هؤلاء.

سؤال: قرأت في كتاب اسمه (منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله) في الجزء الأول، حيث يقول مؤلفه: نظرت إلى كتب العقيدة فوجدتها قد كتبت بغير عقولنا؛ وذلك لأنها نصوص وأحكام، ولذلك انصرف الشباب عن الدين أو العقيدة، وأيضاً في الكتاب نفسه قال: لو أن قوم لوط قالوا: لا إله إلا الله، ما نفعتهم ما داموا مصرين على معصيتهم، فما رأي فضيلتكم في هذا الكلام؟

الجواب: كما أشرت إليه في المحاضرة أن هناك أناساً يزهدون في تدريس العقيدة، ويزهدون في كتب السلف، ويزهدون في مؤلفات أئمة الإسلام، ويريدون أن يصرفوا الناس إلى مؤلفاتهم وأمثالهم من الجهال، ومن دعاة الضلال، هذا القائل من دعاة الضلال نسأل الله العافية، فيجب علينا أن نحذر منه ومن كتابه، وأذكر لكم أن الشيخ محمد أمان الجامي -رحمه الله- قد أملى شريطاً كاملاً في الرد على هذه

اهمية التوحيد ومكانته في الإسلام وفي الدعوة إلى الله **=====**

الكلمة القائلة إن كتب العقيدة نصوص وأحكام جامدة أو جافة، وتضمن الشريط ردًا بليغًا، فعليكم أن تبحثوا عن هذا الشريط وأن تنشروه بين المسلمين حتى يحذروا من هذا الخبث، ومن هذا الشر الوافد إلى بلاد المسلمين، هذا الشريط قيم جداً جزى الله خيراً شيخنا الشيخ محمد أمان الجامي ونصر به الإسلام والمسلمين .

أما قوله عن قوم لوط إنهم لو وحدوا الله ولم يتركوا اللواط لظلوا كافرين، فهو كلام باطل. لاشك أن اللواط جريمة وكبيرة من كبائر الذنوب ولكنه لا يصل إلى حد الكفر، فمن تاب إلى الله عز وجل من الشرك، ولم يقع منه شرك ولكن وقع في جريمة اللواط، فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، ولكنه لا يكفر بها، فلو أن قوم لوط وحدوا الله عز وجل، وعبدوا الله وحده لا شريك له ولكن بقوا على جريمة اللواط؛ لكانوا فسقة مرتكبين لكبيرة من كبائر الذنوب، يعاقبهم الله عليها إما في الدنيا وإما في الآخرة، أو يعفو عنهم سبحانه وتعالى ولكنهم لا يكفرون، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، وفي الحديث الصحيح أن الله سبحانه وتعالى يأمر يوم القيامة أن يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال حبة من خردل من

الإيمان^(١)، ويراد به أهل التوحيد الذين عندهم معاصي ودخلوا بها النار، يعذبون ثم يخرجون من النار بتوحيدهم وعقيدتهم، فالموحد إذا دخل النار لا يُحَلد فيها، وقد يعفو الله عنه ولا يدخل النار أصلاً، قال تعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ ﴾ .

فهذه الكلمة: كلمة من لا يهتم بالعقيدة ويعظم أمر اللواط ولا يحذر من الشرك، وإلا أيها أشد؟ هل الشرك أشد أم اللواط؟! نسأل الله العافية. والجهل داء وبيل والعياذ بالله، فهذه آفة كثير من الدعاة اليوم الذين يدعون إلى الله على جهل، يقعون بمثل هذا، ويكفرون الناس دون سبب، ويتساهلون في أمور التوحيد. وقوم لوط كفروا لأنهم كذبوا الرسل، قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ [الشعراء: ١٦٠]، ومن كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميع المرسلين، وكذلك قوم لوط استحلوا اللواط، واستحلاله كفر أيضاً.

سؤال: من قال: عليّ الحرام أو عليّ الطلاق حلّفاً بذلك، فهل هذا شرك؟

الجواب: هذا لا يدخل في قوله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»^(٢)، إذا قال: عليّ الطلاق لأفعلن كذا أو لا أفعلن كذا، هذا

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠).

(٢) أخرجه الترمذي (١٥٣٥).

ليس حلفاً بغير الله وليس يمينا بالمعنى اللغوي والشرعي وإنما سماه الفقهاء يمينا؛ لأنه جرى مجرى اليمين في دخول الكفارة فيه، والله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغِي مَرَضَاتِ أَزْوَاجِكَ^٤ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾﴾ [التحریم: ١]، ثم قال: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ^٥﴾ [التحریم: ٢]، سمي الله تحريم الحلال يميناً تدخله الكفارة، فأمر نبيه ﷺ أن يكفر عن تحريمه الحلال، وقد روي أنه حرّم على نفسه العسل عليه الصلاة والسلام^(١)، أو حرّم على نفسه مارية القبطية سريته^(٢) بسبب أن بعض أزواجه عتبن عليه أو تكلمن معه، فغضب النبي ﷺ وحرّم على نفسه العسل أو مارية، فعاتبه الله عز وجل: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾، ثم قال: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ^٥﴾، فسمى تحريم الحلال يمينا، بمعنى أنه يجري مجرى اليمين في كونه تجب فيه الكفارة، لا أنه حلف بغير الله.

(١) أخرجه مسلم (١٤٧٤).

(٢) أخرجه النسائي (٣٩٥٩)، وانظر تفسير الطبري وابن كثير.

سؤال: هل هناك ثلاث تكبيرات عند بداية السعي وكذا عند المروة، أم

هل إنه يكفي الدعاء المأثور عن النبي ﷺ فقط دون تكبير؟

الجواب: إذا صعد الصفا أو وقف عنده فإنه يرفع يديه اقتداءً بالنبي

ﷺ ويتوجه إلى القبلة^(١)، ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له

الملك وله الحمد، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير^(٢)، ويدعو

بما تيسر له من الدعاء، ثم يبدأ بالشوط، وإن كبر فلا بأس؛ لأن التكبير

ذكر لله سبحانه وتعالى، فإن قال: لا إله إلا الله، أو قال: الله أكبر، أو قال:

سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، كله ذكر، ولو سكت ولم يتكلم

بشيء فسعيه صحيح؛ لأن هذا الذكر سنة وليس واجباً.

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨).

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم.....
٧	إذن الطباعة.....
١٠	القرآن منبر التوحيد.....
١٢	التوحيد أساس الدين.....
١٧	عقيدة التوحيد أساس الشريعة الإسلامية.....
١٩	التوحيد أساس الشرائع السماوية.....
٢٥	ما هو التوحيد؟.....
٣٣	ما هي العبادة؟.....
٤٧	سؤال: ما هو الصحيح الراجع في حكم أهل الفترة؟.....
٤٧	سؤال: ما هو سبب قلة التذكير بالتوحيد من جانب الدعوة والمصلحين في نظرك؟.....
٤٩	سؤال: ما هي نصيحتكم لجماعة التبليغ؟.....
٥٠	سؤال: نسمع كثيراً من الناس يقولون: يا وجه الله، فما رأيكم في هذه الكلمة؟.....
٥١	سؤال: الولاء والبراء من عقيدة أهل السنة والجماعة، فما هو؟ وكيف نطبقه على أرض الواقع؟.....

الصفحة

الموضوع

- ٥٢ سؤال: هل التوحيد في تزيق القلوب وشحذ همتها للعمل الصالح أفضل، أم الاقتصار على بعض الرقائق في هذا الجانب؟
- ٥٣ سؤال: ما حكم الجمعيات التعاونية التي يعملها الموظفون اليوم؟.....
- ٥٣ سؤال: يوجد في وسط مزرعتي قبر قديم له أكثر من مائة سنة، ولا أدري السابق القبر أو المزرعة، فهل يجوز لي نبشه؛ لأن أهلي يدخلون المزرعة ويتضايقون منه؟.....
- ٥٤ سؤال: أرجو توجيه كلمة لشباب المركز الصيفي الذين هم معنا الآن؟.....
- ٥٥ سؤال: ما حكم من يذهب إلى الكهان والمنجمين؟.....
- ٥٦ سؤال: قرأت في كتاب اسمه (منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله) في الجزء الأول، حيث يقول مؤلفه: نظرت إلى كتب العقيدة فوجدتها قد كتبت بغير عقولنا؛ وذلك لأنها نصوص وأحكام، ولذلك انصرف الشباب عن الدين أو العقيدة، وأيضًا في الكتاب نفسه قال: لو أن قوم لوط قالوا: لا إله إلا الله، ما نفعتم ما داموا مصرين على معصيتهم، فما رأي فضيلتكم في هذا الكلام؟.....

الصفحة

الموضوع

٥٨

سؤال: من قال: عليّ الحرام أو عليّ الطلاق حلّفاً بذلك، فهل هذا
شرك؟.....

٦١

فهرس الموضوعات.....